تلخيص عقيدة

الإمام ابن عاشر



إعداد

عبد الغني الزواوي

منشورات مركز الإمام مالك الإلكتروني

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين وعلى التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد؛ فهذا شرح مبسط أو تلخيص لعقيدة الإمام سيدي ابن عاشر رحمه الله كتبتها على عجلة من أمري لنفسي ولزملائي -إبان الحجر الصحي- بمعهد محمد السادس لتكوين الأئمة المرشدين والمرشدات، اعتمادا على مصادر ومراجع كانت بيدي؛ على أني لم ألتزم منهجية ولا خطة عمل...وإنما الهدف تبسيط أبياتها وتلخيصها مما يسهل فهمها واستيعابها، راجيا من الله أن ينفع بها ويجعلها خالصة لا تشوبها رياء ولا سمعة...

وصلى الله على سيدنا محمد في الأولين والآخرين وفي كل وقت وآن وحين.

عبد الغني الزواوي

بسم الله الرحمن الرحيم

في تعريف علم التوحيد وموضوعه وثمرته وفضله وافتراضه.

علم التّوحيد: علم يبحث فيه عن معرفة العقائد الدينية بالأدّلة اليقينية كإثبات الصانع للعالم وما يجب له وما يستحيل وما يجوز، وكذا ما يتعلق بالرسل عليهم الصلاة والسلام وعن أحوال ما بعد الموت من سؤال القبر والبعث والحشر والنّشر واليوم الآخر ونعيم الجنّة وعذاب القبر وغير ذلك.

أسماؤه: علم العقائد، وعلم الكلام، وعلم أصول الدّين والفقه الأكبر سمّاه الإمام أبو حنيفة بذلك وألّف فيه كتابا بهذا العنوان.

موضوعه: ذات الله وذات رسله من حيث ما يجب وما يستحيل وما يجوز والتّصديق بالسمعيات

ثمرته: معرفة صفات الله تعالى ورسله بالبراهين القطعية والفوز بالسعادة الأبدية؛ لأن الاعتقادات الحقة مثمرة للسعادة بالذات، وبما يقتضيه من عمل الصالحات.

فضله: أنّه أشرف العلوم وأصل لها لتعلقه بذات الله وذات رسله عليهم الصّلاة والسّلام وشرف العلوم بشرف المعلوم.

واضعه: في الأصل هو الله سبحانه وتعالى على لسان الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام لأنّ كلّ شريعة جاءت به ولكن الآن يقال إنّ الواضع له الشّيخ أبو الحسن الأشعري والشّيخ أبو منصور الماتريدي لشهرتهما دون غيرهما في تدوين كتب هذا العلم وإقامة الأدلة والبراهين على رد ما قاله المخالفون

حكمه: تعلمه فرض على كلّ مكلّف شرعا من ذكر وأنثى ولو بالأدلة الإجمالية، وأمّا بالتّفصيلية ففرض كفاية على الصّحيح.

ممّا يعين طالب العلم على الشروع في دراسة العقيدة أن يتعرّف على أعلامها ومصنفاتهم حتّى يكون على بصيرة من ذلك وقد عنيت كتب العقيدة والتّراجم وعلم الكلام بالحديث عن العقيدة الأشعرية ومناقب الإمام أبي الحسن الأشعري ومنهجه.

فمن هو أبو الحسن الأشعري؟ ومناقبه ومؤلفاته؟ وما هي خصائص العقيدة الأشعرية؟

ترجمته، ومكانته ومنهجه:

أولا ترجمته: هو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق من نسل الصّحابي الجليل أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، ولد في البصرة سنة ستين ومائتين للهجرة إمام مجتهد، كان إماما في الحديث، تكلم في أصول الديانات على طريقة أهل السنة، سكن بغداد إلى أن توفي بها عام 324هـ على الأرجح، وله مصنّفات كثيرة منها:" الإبانة عن أصول الديانة " و"مقالات الإسلاميين" و "اللمع في الرّد على أهل الزيغ والبدع".

ثانيا: مكانته وفضله: قال ابن فرحون رحمه الله "كان مالكيا صنّف لأهل السنة التّصانيف وأقام الحجج على إثبات السنن وما نفاه أهل البدع من صفات الله ...." وقال أيضا: أثنى عليه ابن أبي زيد القيرواني وغيره من أئمة المسلمين "

ثالثا: منهجه وطريقته: اعلم أنّ أبا الحسن لم يبدع رأيا و لم ينشئ مذهبا وإنّما هو مقرر لمذاهب السلف مناضل عمّا كان عليه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالانتساب إليه إنّما هو باعتبار أنّه على طريق السلف نطاقا وتمسك به وأقام الحجج والبراهين عليه فصار المقتدى به في ذلك السالك سبيله في الدلائل يسمى أشعريا.

خصائصها: تميزت بعدّة خصائص في تناول قضايا العقيدة منها:

أولا: قسّم أئمتنا الأشاعرة التّوحيد إلى أقسام ثلاثة: توحيد الذات، توحيد الصفات، وتوحيد الأفعال.

ثانيا: الوسطية في الاستدلال بين النّقل والعقل بالرجوع إلى النّقل الصّحيح، والعقل الصّريح القائم على الحجج المعتبرة.

ثالثا: لا يُكّفر أحد من أهل القبلة بذنب وهو مذهب أهل السنة خلفا وسلفا خلافا للخوارج.

رابعا: التّعريف بإمارة المؤمنين وحقوقها باعتبارها نظاما شرعيا تستمد قوتها ومصداقيتها من البيعة الشرعية وما ترتب عليها من واجبات في حراسة الدين وسياسة الدنيا.

الحكم العقلي وأقسامه

نوّه الدين الإسلامي الحنيف بالعقل وأبان عن أهميته وعلوّ شأنه وأناط به التّكليف، فالعقل تُضاف إليه بعض الأحكام في أصول الدّين كما تضاف إلى الشّرع والعادة والحكم العقلي على أقسام وكلّ قسم يتميز عن قسيمه ونظيره.

فما المقصود بالحكم العقلي؟ وما هي أقسامه؟

يقول ابن عاشر رحمه الله:

وحكمنـــا العقلـــي قضـــية بـــلا وقـف علـى عـادة أو وضـع جـلا

أولا: تعريف الحكم العقلي

أ- **الحكم لغة:** المنع، والجمع أحكام، يقال: حكمت عليه بكذا حكما وحكومة إذا منعته مـن خلافه فلم يقدر على الخروج من ذلك.

ب- **الحكم اصطلاحا:** عبارة عمّا يدرك العقل ثبوته أو نفيه من غير توقف على تكرّر عادة ولا وضع واضع أو هو إثبات أمر لأمر أو نفي أمر عن أمر بالعقل.

فمثال الإثبات: العالم حادث **ومثال النّفي:** مولانا ليس بحادث.

ونُسب الحكم للعقل؛ لأنّه أدرك بالعقل لا بالشرع ولا بالعادة

ثانيا: تعريف العقل والعادة والوضع

أ- **العقل:** قوة روحانية في الدماغ منبثة في مقدمه بالتّخييل وفي وسطه بـالتّفكير وفي مـؤخره بالحفظ.

ب ــ **العادة:** ما اعتاده النّاس من الأمور المتّكررة المقبولة عند الطبائع السليمة فأصبح مألوفـا لهم سائغا في مجرى حياتهم قولا كان أو فعلا متّبعا. فمثال القول إطلاقهم لفظ الولـد علـى الذكر دون الأنثى، ومثال الفعل المتّبع كالبيع بالتّعاطي في السلع .... أوما عرف عادة أنّـه يضرّ أو ينفع بما جعله الله فيه من خصائص كالنّار المحرقة والماء يروي.

ج ــ **الوضع:** المراد به هنا: وضع الحكم أي تشريعه وواضع الحكم الشّرعي هو الله ورسـوله الذي بينه بقوله وفعله وتقريره، فإذا أدرك الحكم بالشّرع سمّي شـرعيا كقولنـا في الاثبـات:

الصّلوات الخمس واجبة وقولنا في النّفي: صوم عاشوراء لــيس بواجــب، وإذا أدرك الحكــم بالعادة سمي عاديا كقولنا في الاثبات: الطعام يُشبع وفي النّفي النّار غير باردة.

أقسام الحكم العقلي

أقسام مقتضاه بالحصر تماز	**وهي الوجوب الاستحالة الجواز**
فواجب لا يقبل النّفي بحال	**وما أبى الثبوت عقلا المحــال**
وجائزا ما قبل الأمرين سم	**للضروري والنظري كلّ قسم**

أقسام الحكم العقلي تنحصر في ثلاثة: الوجوب والاستحالة والجواز.

فالواجب: ما لا يتصوّر في العقل عدمه أي مالا يقبل الانتفاء كالتحيز للجرم أي أخذه قدرا من الفراغ، وكوجود خالق للعالم، فالأوّل واجب عقلي بديهي أي لا يحتاج إلى نظر واستدلال، والثّاني واجب عقلي نظري أي يحتاج إلى دليل.

والمستحيل: ما لا يتصوّر في العقل وجوده أي ما لا يقبل الثبوت كخلوّ الجسم من الحركة والسكون معا، وكوجود شريك للمولى، فالأول مستحيل ويقال له أيضا: محال عقلي بديهي والثّاني مستحيل عقلي نظري.

والجائز: ما يقبل الثبوت والانتفاء أي ما يصدق العقل بوجوده تارة وبعدمه أخرى، أو ما قبل الأمرين النّفي والثبوت عقلا كوجود ولد لزيد وقلب الحجر ذهبا بقدرة الله تعالى.

فالأوّل: جائز عقلي بديهي وعادي أي لا يستغرب العقل وقوعه.

والثاني: جائز عقلي نظري، ويقال له غير عادي؛ لأنّه يندر وقوعه في العادة أو أنّه لم يقع قط ولذلك تستغربه العقول في بادئ الأمر ولكن إذا بحث عنه بالدليل وجد أنّه جائز الوقوع وليس بمستحيل، ومن هذا القبيل: انقلاب العصا حيّة، وانفلاق البحر ونحو ذلك من الأشياء التّي ليست بعادية الوقوع، وإذا بحث عنها بالدّليل وجد أنّها جائزة وداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالى ولذلك قد جعل الله وقوع أمثال هذه الأشياء على أيدي الرسل عليهم الصّلاة والسلام معجزة لهم شاهدة بصدقهم فيما يخبرون به عن المولى عزّ وجلّ.

وكلّ واحد من الواجب والمستحيل والجائز ينقسم إلى ضروري، وإلى نظري فهذه الثّلاثة تجب معرفتها على كلّ مكلف لتوقف معرفة الواجب والمستحيل والجائز عليها في حقّ الله تعالى وحقّ رسله عليهم الصلاة والسلام.

يُستفاد من هذا الدّرس عناية علماء العقيدة الأشعرية رحمهم الله بالدّليل العقلي في تقرير القضايا العقدية إبرازا لأهمية العقل ومترلته في الإسلام ولبيان ألا تعارض بين العقل الصّريح والنّقل الصّحيح.

أول ما يجب على المكلف وشروط التكليف

خلق الله الإنسان بيده، ونفخ فيه من روحه، وسوَّاه وعدَّله وكرَّمه وفضَّله على كثير ممن خلق، وجعل له وظيفة في الحياة يتشرف بها ويسعد، ولم يشأ سبحانه أن يتركه سدى دون تكليف ولا وظيفة ورسالة في الحياة، ففرض عليه فرائض وأوجب عليه واجبات كلها في استطاعته وطاقته إذا استوفى شروط التكليف.

فما أول واجب على المكلف؟ وما شروط التكليف؟

أولًا: أول ما يجب على المكلف:

أول واجب على من كلَّفا ممكَّنا من نظر أن يعرفا
الله والرسل بالصفات مما عليها نصب الآيات

إن أول واجب على المكلف المتمكّن من النظر معرفة الله ومعرفة رسله بالصفات التي أقام عليها البراهين والأدلة العقلية والنقلية؛ إذ الجهل بالصفة جهل بالموصوف، فإذا لم يتمكن من النظر لمفاجأة الموت له عقب البلوغ فلا يؤاخذ على عدم النظر المرتبة على المعرفة.

والمعرفة هي الجزم المطابق لعقائد الإيمان عن دليل أو برهان، فمن لم يعرف الله ولو بالدليل الإجمالي المفيد لليقين فلا يعتد بإيمانه، وأما من عرفه بصفاته ولم يعرف لها دليلًا تفصيليًا ولا إجماليًا فهو مقلد مختلف في إيمانه، قال بعضهم: إنه كافر، وقال بعضهم: إنه مؤمن عاصٍ إن كان فيه أهلية للنظر ولم ينظر وإلا فلا عصيان، وهذا القول عليه المعول عند أكثر علماء التوحيد.

وكون المعرفة أول واجب هو أحد أقوال في المسألة ونسب للشيخ أبي الحسن، ومعرفة الله تعالى تثمر مراقبته سبحانه واستحضار جماله وجلاله في سلوك الفرد، فلا يراه حيث نهاه، ولا يفقده حيث أمره، وذلك من ثمار توحيده سبحانه وعبوديته.

ثانيًا: شروط التكليف:

وكل تكليف بشرط العقل مع البلوغ بدم أو حمل

أو بمني أو بإنبات الشعر أو بثمان عشرة حولا ظهر

للتكليف شروط أربعة:

1ـ **العقل**: وهو قوة يقع بها التمييز بين الحسن والقبيح، وبه تكون أهلية التكليف، فغير العاقل من مجنون ونحوه غير مكلف؛ لأنه فقد أهلية التكليف.

2ـ **البلوغ**: وهو قوة تحدث في الصبي، يخرج بها عن حالة الطفولة إلى حال الرجولية، وتلك القوة لا يكاد يعرفها أحد، فجعل الشارع لها علامات يستدل بها على حصولها، وهي إحدى خمس علامات: الاحتلام وهو خروج المني، والحيض، والحمل، وإنبات شعر الوسط، وبلوغ ثمان عشرة سنة، وزاد الإمام القرافي رحمه الله رائحة الإبطين وزاد غيره فرق الأرنبة من الأنف، وغلظ الصوت.

3 ـ **بلوغ دعوة النبي صلى الله عليه وسلم**: و لم يذكر الناظم هذا الشرط لبلوغ دعوته كل أحد.

4ـ **انتفاء الإلجاء والغفلة وعدم الإكراه**: فالملجأ وهو من لا مندوحة له عما ألجئ إليه، والغافل عن الشيء أي الساهي عنه، والمكره وهو من لا مندوحة له عما أكره عليه إلا بالصبر عما أكره به يمتنع على الصواب في الأوليين والصحيح في الثالث تكليفه، وهذا الشرط لم يذكره الناظم ولا الشارح "ميارة" وزاده غيرهما.

من فوائد الدرس: تربية المؤمن على معرفة الله ودعوته إلى النظر والتأمل في الآيات المنصوبة في الأنفس والآفاق لإدراك وجود الله ووحدانيته وعظمته وكماله وجماله وجلاله سبحانه.

مما يجب لمولانا عز وجل عشرون صفة

أقسام الصفات الواجبة لله تعالى: علماء أهل السنة والجماعة يقسمون الصفات الإلهية التي يجب أن نثبتها لله تعالى إلى أقسام أربعة: صفات نفسية، وصفات سلبية، وصفات المعاني، وصفات معنوية.

وينبغي أن نعلم أن صفات الله تعالى في نفسها لا تتجزأ ولا تنقسم؛ لأن الانقسام والتجزؤ هو من صفات البشر، وهو محال على الله تعالى لكن التقسيم المذكور هو للغرض التعليمي والعلمي فقط لتسهيل حفظها ومعرفتها واستحضارها.

وبعضهم يقسمها إلى قسمين: إجمالية وتفصيلية، أما الإجمالية فواحدة وضدها كذلك، وهي أنه تعالى يجب له كل كمال ويستحيلُ عليه كل نقص.

وأما التفصيلية فيجب له سبحانه وتعالى عشرون صفة، ويستحيل عليه أضدادها ويجوز في حقه تعالى أمر واحد، فهذه إحدى وأربعون عقيدة.

ويجب للرسل عليهم الصلاة والسلام أربع صفات ويستحيل عليهم أضدادها وهي أربعة ويجوز في حقهم أمر واحد، فهذه هي الخمسون عقيدة، الواجب معرفتها على كل مسلم ومسلمة بالدليل ولو إجماليًا، وإلا كان مقلدًا مختلفًا في إيمانه.

ما يجب معرفته تفصيلًا:

يجب له سبحانه وتعالى عشرون صفة وهي: الوجود، والقدم، والبقاء، ومخالفته تعالى للحوادث، وقيامه تعالى بنفسه، والوحدانية.

فهذه ست صفات، الأولى منها نفسية وهي الوجود، والخمسة بعدها سلبية ثم يجب له سبحانه وتعالى سبع صفات تسمى صفات المعاني، وهي القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام.

ثم سبع صفات أخرى ملازمة للسبع التي قبلها تسمى بالصفات المعنوية، وقد أثبتها بعضهم، ونفاها آخرون كالإمام ابن عاشر، وهي كونه تعالى: قادرًا، ومريدًا، وعالمًا، وحيًا، وسميعًا، وبصيرًا، ومتكلمًا، فهذه هي العشرون الواجبة في حقه تعالى.

ويستحيل عليه سبحانه وتعالى ضدها وهي على الترتيب: العدم، والحدوث، والفناء، والمماثلة للحوادث، والاحتياج للغير، والتعدد، والعجز، والكراهية، والجهل، والموت، والصمم، والعمى، والبكم، وكونه عاجزًا، ومكرها، وجاهلًا، وميتًا، وأصم، وأعمى، وأبكم.

ويجوز في حقه تعالى فعل كل ممكن أو تركه فهذه إحدى وأربعون عقيدة.

تنبيه: الإمام ابن عاشر رحمه الله تعالى في المرشد المعين اقتصر على ثلاث عشرة صفة، وذلك؛ لأن المستحيلات أضداد لما وجب له من الكمالات، وكمالاته تعالى لا تتناهى، كذلك أضدادها.

كذلك مما يلاحظ أنه لم يتكلم على الصفات المعنوية وذلك-والله أعلم-بناء على مذهب الإمام الأشعري من نَفْي الحال، وأنه لا واسطة بين الوجود والعدم، فالثابت عنده من الصفات التي تقوم بالذات إنما هو صفات المعاني أما المعنوية فعبارة عن قيام تلك بالذات لا أن لها ثبوتًا في الخارج عن الذهن.

بيان معنى كل صفة وذكر دليلها وضدها:

يجب لله الوجود والقدم	**كذا البقاء والغنى المطلق عم**
وخُلفُه لخلقه بلا مثال	**ووحدةُ الذات ووصف والفعال**
وقدرةٌ إرادةٌ علم حياة	**سمعٌ كلام بصر ذي واجبات**
ويستحيلُ ضدَّ هذه الصفات	**العدم الحدوث ذا للحادثات**
كذا الفنَا والافتقارُ عده	**وأن يماثل نفي الوحده**
عجز كراهة وجهل وممات	**وصمم وبكم عمى صمات**

القسم الأول: الصفة النفسية:

والصفة النفسية هي الوجود، ومعناه أنه الحال الواجبة للذات ما دامت الذات، وسُميت نفسية؛ لأنها تعبر عن الله في نفسه من حيث إنه موجود، قال تعالى: (ويحذركم الله نفسه) نسبت للنفس أي الذات لأنها لا تتعقّل إلا بها، فلا تتعقل ذاتٌ إلا بوجودها، وهو صفة ثبوتية كأن يقال الوجود صفة الله تعالى.

ومعنى إيماننا بهذه الصفة أن نؤمن بأن الله موجودٌ وذلك ثابت بالأدلة القطعية، فإنه يستحيل وجود هذا العالم بما فيه من سماوات ومخلوقات وبحار وجبال من دون خالق موجود يكون سببًا في

وجود العالم فلا يعقل أن يخلق العالم نفسه أو أن يكون صدفة دون خالق يكون له التدبير وإحكام الصنعة وإتقانها.

وضد الوجود العدمُ، والدليل على وجوده تعالى حدوث هذه المخلوقات أي وجودها بعد عدم ويستحيل وجودها بنفسها لاجتماع التساوي والرجحان.

وُجُـــودُهُ لَـــهُ دَلِيـــلٌ قَـــاطِعْ　　　حَاجَـــةُ كُـــلِّ مُحْـــدَثٍ لِلصَّـــانِعْ

لَــوْ حَــدَثَتْ بِنَفْسِــهَا الأَكْــوَانُ　　　لاَجْتَمَــعَ التَّسَــاوِي وَالرُّجْحَــانُ

وَذَا مُحَـــالٌ وَحُـــدُوثُ الْعَـــالَمِ　　　مِنْ حَدَثِ الأَعْرَاضِ مَعْ تَلاَزُمِ

القسم الثاني: الصفات السَّلبية:

وسميت هذه الصفات بالسَّلبية لأنها تَسْلب أي تنفي عن الله تعـالى النقـائص، وتسـمى أيضًـا مهمَّات الأمهات، لأنه يلزم من نفي ضدها تنزيه الله تعالى عن جميع النقائص، وهي خمس صفات:

أـ القدم: ومعناه أن وجود الله تعالى ليس له بداية، وبعبارة أخرى: نفي العدم الثابـت علـى وجود الله تعالى أو عدم الأولية أي أنه لا أول له، وضده الحدوث أي أنه تعـالى يسـتحيل عليـه الحدوث وهو الوجود بعد العدم، والدليل على قدمه قوله تعالى: (هو الأول)، وقوله صلى الله عليه وسلم: (أنت الأول فليس قبلك شيء) ، وأنه لو لم يكن قديمًا لكان حادثًا لأنه لا واسـطة بـين القديم والحادث، فكل شيء انتفى عنه القدم ثبت له الحدوث، ولو كان حادثًا لاحتاج إلى محدث يحدثه وافتقر محدثه إلى محدث آخر وهلم جرا، ويلزم من ذلك الدور والتسلسل.

لَـوْ لَـمْ يَـكُ الْقِـدَمُ وَصْـفَهُ لَـزِمْ　　　حُدُوثُـــهُ دَوْرٌ تَسَلْسُـــلٌ حُـــتِمْ

ب ـــ البقاء: ومعناه أن وجود الله ليس له نهاية، وبعبارة أخرى: نفي العدم اللاحق على وجود الله تعالى، معناه عدم الآخرية أي أنه لا انتهاء لوجوده تعالى، وضده الفناء أي لا يلحقه سبحانه وتعالى الفناء أي العدم، والدليل النقلي على بقائه قوله تعالى: (هو الأول والآخر)، وقوله تعالى: (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام)، وقوله تعالى: (كل شيء هالك إلا وجهه)، وقوله صلى الله عليه وسلم: (وأنت الآخر فليس بعدك شيء).

والدليل العقلي أنه لو جاز أن يلحقه العدم لانتفى عنه القدم، أو كل من لحقه العدم يكون وجوده جائزًا وكل جائز الوجود يكون حادثًا وكل حادث يحتاج إلى محدث وهو تعالى ثبت له القِدم، وكل ما ثبت له القدم استحال عليه العدم، فدليل البقاء هو دليل القِدم.

لو أمكن الفناء لانتفى القدم

ج ـ قيامه تعالى بنفسه أو الغنى المطلق لله ومعناه أن الله غني عن كل ما سواه من المخلوقات ولا يحتاج إلى أحد منهم، وبعبارة أخرى عدم حاجة الله إلى شيء من العوالم، فهو ليس صفة ولا مخلوقًا ولا يحتاج إلى المكان أو المحل أو المساعد والمعين، قال تعالى: (يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد) ، وقال سبحانه: (له ما في السموات وما في الأرض وإن الله لهو الغني الحميد) ، وقال صلى الله عليه وسلم : (اللهم... أنت الغني ونحن الفقراء) وضده الاحتياج إلى الغير من المحل: أي الذات سوى ذاته تعالى، أو المخصص أي فاعل تخصه بالوجود، أو المدبر أو المعين.

والدليل على قيامه تعالى بنفسه أنه لو احتاج إلى محل أي ذات يقوم بها لكان صفة والله لا يصح أن يكون صفة لاتصافه بالصفات، والصفة لا تتصف بصفات، فليس المولى بصفة، ولو افتقر إلى مخصص يخصصه أي موجد يوجده لكان حادثًا ومحدثه يكون حادثا فيلزم الدور والتسلسل، فوجب كونه تعالى ذاتًا غنيًا عن المحل وعن المخصص، ولو احتاج إلى مدبر يدبره أو معين يعينه لكان عاجزًا، وكونه عاجزًا محال.

.... لو لم يجب وصف الغنى له افتقر

د ـــ مخالفته تعالى للحوادث، والمعنى أن الله تعالى لا يشبه شيئًا من المخلوقات المحدثة، بل يخالفها في ذاته، وصفاته، وأفعاله، فمثلًا الحوادث مخلوقة والله ليس بمخلوق وهي أجسام أو أعراض والله ليس بجسم ولا عرض، وهي متحيزة مركبة والله ليس متحيزًا ولا مركبًا بل يجب أن يعتقد العبد أن له ربًا خالقًا عظيمًا (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)، وضده مماثلته لها في شيء مما

ذكر فليس جسمًا، كما أنه ليس له يدٌ ولا رجل ولا أذن ولا عين ولا غير ذلك من صفات الحوادث، وما ورد من ثبوت اليد والوجه ونحو ذلك فمؤول.

أما الدليل النقلي على ذلك فقد ذكرناه سالفًا وأما العقلي فلو ماثل شيئًا منها لكان حادثًا مثلها وقد علم استحالة الحدوث عليه، ووجوب القدم والبقاء له تعالى، وملزوم المحال محال، فالمماثلة مستحيلة عليه تعالى، وإذا كانت مستحيلة عليه وجبت له المخالفة للحوادث إذ لا واسطة بينهما.

.... لو ماثل الخلق حدوثه انحتم

هـ ـــ الوحدانية: والمعنى أن الله تعالى واحدٌ في ذاته وصفاته وأفعاله، فليس له ندٌ ولا شريك، وليس لأحد من خلقه صفة كصفته، فهو سبحانه القادر المنفرد بالقدرة وهو المريد المنفرد بالإرادة، وكل صفة له فليس لها مثيل.

ومعنى الوحدانية في الذات أن ذاته تعالى ليست مركبة من أجزاء متصلة كانت تلك الأجزاء أو منفصلة.

ومعنى الوحدانية في الصفات أنه تعالى ليست له صفتان فأكثر من نوع واحد كقدرتين وإرادتين وعلمين مثلًا، كما أنه ليست لغيره صفة تشبه صفته تعالى.

ومعنى الوحدانية في الأفعال أنه تعالى ليس لغيره فعلٌ من الأفعال وأنه لا يشاركه غيره في فعل من أفعاله، فالله سبحانه وتعالى هو الخالق للأفعال كلها من حركة وسكون، قال تعالى: (هل من خالق غير الله) وقال أيضًا: (والله خلقكم وما تعملون)، فالله هو الخالق لجميع أفعال العباد ولكن للعبد كسب في أفعاله الاختيارية هو مناط الثواب والعقاب.

فالوحدانية تنفي عن الله تعالى الكموم الستة المشهورة وهي الكم أي التعدد المتصل في الذات، والكم المنفصل فيها، والكم المتصل في الصفات، والكم المنفصل فيها، والكم المتصل في الأفعال، والكم المنفصل فيها.

وضد الوحدانية التعدد في الذات وفي الصفات وفي الأفعال، والدليل على وحدانيته قوله تعالى: (وهو الواحد القهار)، وقوله تعالى: (قل هو الله أحد)، وقوله تعالى: (وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد).

وأنه تعالى لو كان متعددًا لم يوجد شيء من هذه المخلوقات، فوجود المخلوقات على هذه الصفات دليل على أن الله تعالى واحد في ذاته وصفاته وأفعاله، قال تعالى: (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا)، وقال تعالى: (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون).

.... لو لم يكن بواحد ما قدر

فهذه الصفات الخمس التي ذكرت بعد الوجود وتسمى بالصفات السلبية، لأنها دلت على سلب ونفي ما لا يليق بالله سبحانه وتعالى أو سميت بذلك لجعل السَّلب جزءاً من مفهومها.

القسم الثالث: صفات المعاني:

سميت هذه الصفات السبع الآتية بصفات المعاني؛ لأن كل واحدة منها معنى موجود قائم بالذات العلية وزائد عليها بحيث لو كشف عنا الحجاب لرأيناها.

وتنقسم باعتبار تعلقها إلى أربعة أقسام: قسم يتعلق بجميع الممكنات أي الجائزات فقط، وهي: القدرة والإرادة، وقسم يتعلق بجميع الواجبات والجائزات والمستحيلات وهو العلم والكلام، وقسم يتعلق بجميع الموجودات وهو السمع والبصر، وقسم لا يتعلق بشيء وهو الحياة.

1ــــ القدرة: وهي صفة قديمة وجودية قائمة بذاته تعالى يتأتى بها إيجاد كل ممكن وإعدامه بتأثير الذات؛ إذ لا تأثير للصفة، بل التأثير لله الواحد القهار، وتتعلق القدرة بجميع الممكنات موجودة كانت أو معدومة على رأي الجمهور، وضدها العجز.

والدليل على ذلك قوله تعالى: (وهو على كل شيء قدير)، وقوله: (وكان الله على كل شيء مقتدرًا)، وأنه لو كان عاجزًا لما وجد شيء من هذه المخلوقات فوجود هذه العوالم العلوية والسفلية وما فيهما على أبدع نظام وأتم إحكام دليل واضح على ثبوت القدرة له تعالى.

ومن معاني هذه الصفة أن البشر وكل المخلوقات من ملك أو إنس أو جان لا يقدرون على شيء، ولا تؤثر أفعالهم في شيء، فلا يخلقون ولا يرزقون ولا يُحيون ولا يُميتون ولذلك قال الله سبحانه: (أفرايتم ما تمنون ءانتم تخلقونه أم نحن الخالقون) ... إلى غير ذلك من الآيات.

2ــ **الإرادة:** وهي صفة قديمة وجودية قائمة بذاته تعالى تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه من الوجود والعدم والفقر والغنى، مثلا: زيد يجوز عليه الطول والقصر، فالإرادة مخصصة بالطول، والقدرة أبرزت الطول من العدم إلى الوجود فالإرادة تخصص والقدرة تبرز بواسطة الذات الأقدس.

والممكنات التي تتعلق بها القدرة والإرادة ستة: الوجود والعدم والصفات كالطول والقصر، والأزمة والأمكنة والجهات، وتسمى الممكنات المتقابلات لأن الوجود يقابل العدم وهكذا وقد نظمها بعضهم فقال:

الممكنات المتقابلات وجودنا والعدم الصفات
أزمنة أمكنة جهات كذا المقادير روى الثقات

وعلى ذلك نعلم أن القدرة والإرادة لا يتعلقان بالمستحيل كشريك للباري أو اتخاذ صاحبة أو ولد، قال تعالى: (ما اتخذ صاحبة ولا ولدًا).

والدليل على ثبوت الإرادة له قوله تعالى: (وربك يخلق ما يشاء ويختار)، وقوله: (إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون)، وقوله: (فعال لما يريد)، وقوله: (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)، وأنه لو لم يكن يريد لكان مكرهًا ولو كان مكرهًا لكان عاجزًا، والعجز عليه محال لثبوت القدرة له.

3ــــ **العلم:** وهي صفة قديمة وجودية قائمة بذاته تعالى ينكشف بها المعلوم انكشافًا تامًا على وجه الإحاطة من غير سبق خفاء، وتتعلق بالواجبات والجائزات والمستحيلات، فيعلم ذاته تعالى وصفاته بعلمه ويعلم جميع الموجودات وجميع والمعدومات بعلمه أي أنه يعلم أن الشريك مستحيل عليه تعالى، وأنه لو وجد لترتب عليه فساد عام في نظام الكون تعالى الله عن الشريك علوًا كبيرًا، ومعنى قولنا من غير سبق خفاء: أنه تعالى يعلم الأشياء أزلًا بخلاف الحادث فإن علمه مسبوق بجهل، وأن علم الله ليس ضروريًا ولا فطريًا وأن معلوماته لا تتناهى ولذلك أشار الغزالي بقوله:

علم الإله الواحد القيوم ... ليس كمثل سائر العلوم
لأنه ليس له بداية ... ولا لمعلوماته نهاية
وعلمه لها على التفصيل ... لا عن ضرورة ولا دليل

وضده الجهل، والدليل على ثبوت العلم له قوله تعالى: (عالم الغيب والشهادة)، وقوله: (إن الله كان بكل شيء عليمًا)، وأنه لو لم يكن عالمًا لكان جاهلًا، ولو كان جاهلًا لم يكن مريدًا، فالجهل عليه محال لثبوت الإرادة له تعالى.

واعلم أن القدرة والعلم والإرادة تسمى صفات التأثير لتوقف التأثير عليها، لأن الذي يريد شيئًا ويقصده لا بد وأن يكون عالمًا به قبل قصده ثم بعد القصد يباشر العمل.

4ــــ **الحياة**: ومعناها أن الله موصوفٌ بالحياة الكاملة الأبدية التي لا يلحقها موت ولا فناء، وهي لا تتعلق بشيء كما تقدم، وضدها الموت والدليل على ذلك قوله تعالى: (الله لا إله إلا هو الحي القيوم)، وقوله تعالى: (وعنت الوجوه للحي القيوم)، وقوله تعالى: (وتوكل على الحي الذي لا يموت).

وأنه لو لم يكن حيًا لكان ميتًا، ولو كان ميتًا لما أصبح أن يتصف بالصفات المذكورة ولما أمكنه أن يوجد شيئًا من هذه الكائنات، فوجودها دليل على حياته واتصافه بالقدرة والإرادة والعلم وجميع الصفات.

لَـوْ لَـمْ يَكُـنْ حَيًّـا مُرِيـدًا عَالِمَـا وَقَـــادِرًا لَمَـــا رَأَيْـــتَ عَالَمَـــا

وَالتَّالِي فِي السِّتِّ الْقَضَايَا بَاطِلُ قَطْعًـــا مُقَــــدَّمٌ إِذًا مُمَاثِـــلُ

5ـــ السمع [1] : ومعناه أن الله متصف بصفة أزلية تتعلق بالمسموعات ، وسمع الله صفة قديمة لا تشبه سمع المخلوقين ، فكون الله سميعًا لا يقتضي أصمخة وآذانا بل هذه آلات لسمع المخلوقين، وأما الله تعالى الخالق فهو متره عن الاحتياج إلى شيء من الآلات والأعضاء والأدوات .

6ـــ البصر[2] : ومعناه أن الله متصف بصفة يتأتى بها إدراك المبصرات وبصر الله صفة قديمة لا تشبه بصر المخلوقين، وكونه بصيرًا لا يقتضي حدقات وأجفانًا بل هو سبحانه يبصر ويرى خائنة الأعين وما تخفي الصدور .

وضدهما الصمم والعمى، والدليل على ذلك قوله تعالى: (وهو السميع البصير)، وأنه لو لم يتصف بهما لاتصف بضدهما وهي نقائص، والنقص عليه محال فثبت اتصافه بهما.

وهاتان الصفتان تتعلقان بكل موجود واجبًا كان أو جائزًا تعلق انكشاف زائدًا على تعلق العلم

7–الكلام: ومعناه أن الله متصف بصفة أزلية من شأنها الدلالة على ما في علم الله تعالى، وكلام الله ليس ككلام المخلوقين، فهو كلام قديم ليس بحرف ولا صوت، متره عن التقدم والتأخر والإعراب والبناء والغن والمد بخلاف كلام الحوادث.

ويتعلق الكلام بكل ما يتعلق به العلم من الواجب والجائز والمستحيل لكن تعلق العلم بها تعلق انكشاف، وتعلق الكلام بها تعلق دلالة، وضده البكم أي الخرس، والدليل على ثبوت الكلام له قوله تعالى: (وكلم الله موسى تكليمًا) وقوله تعالى: (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله)، وقوله صلى الله عليه وسلم: (ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه).

(1) من الأدلة النقلية قوله تعالى: (لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى).

(2) (إنه بكل شيء بصير).

وأنه لو لم يتصف بالكلام لاتصف بضده وهو نقص والنقص عليه محال، فما أدَّى إلى المحال محال، وذلك قول ابن عاشر: (**مع كماله ترام**).

والسمع والبصر والكلام بالنقل مع كماله ترامُ

القسم الرابع: الصفات المعنوية:

سميت بذلك لأنها منسوبة لصفات المعاني أي أنها ملازمة لها وهي سبع:

1ـ **كونه قادرًا**: وهي صفة قديمة قائمة بذاته تعالى متوسطة بين الموجود والمعدوم، وهي غير القدرة إلا أن بينهما تلازمًا فمتى وجدت القدرة في ذات وجدت فيها الصفة المسماة بالكون قادرًا، وضدها كونه عاجزًا.

2ـ **مريدًا**: وضدها كونه مكرهًا.

3ـ **عالمًا**: وضدها جاهلًا.

4ـ **كونه حيًا**، وضدها كونه ميتًا.

5ـ **كونه سميعًا**: وضدها كونه أصمَّ.

6ـ **كونه بصيرًا**: وضدها كونه أعْمَى.

7ـ **كونه متكلمًا**: وضدها كونه أبكم.

والدليل على وجوب هذه الصفات له تعالى واستحالة أضدادها عليه ما تقدم في صفات المعاني، فهذه الصفات العشرون الواجبة له تعالى، وأضدادها العشرون المستحيلة عليه تعالى، فيكون الجميع أربعين صفة.

الإمام السنوسي رحمه الله جرى في أكثر كتبه على أن الصفات الواجبة لله تعالى عشرون صفة، وجرى في بعضها على نفي الأحوال، وبذلك تكون الصفات ثلاثة عشر بإسقاط السبع المعنوية، وعليه سار الإمام ابن عاشر في المرشد المعين.

وبناء على ذلك فتكون الأشياء ثلاثة موجودات ومعدومات وأمورا اعتبارية وبذا تسقط أضداد الصفات المعنوية السبع فتكون المستحيلات ثلاثة عشر أيضًا.

الصفات الجائزة في حقه تعالى:

وأما الجائز في حقه تعالى وهي الصفة الحادية والأربعون فهي فعل كل ممكن ــــ قضى العقل بإمكانه ــــ أو تركه ــــ أي إعدامه بعد وجوده ، كإيجاد زيد وإعدامه وإحيائه وإماتته وخلقه ورزقه، وأنه يجوز عليه تعالى أن يخلق الخير والشر ، ويخلق الإيمان في شخص والكفر في آخر ، والعلم في أحدهما والجهل في الثاني، ويدخل في ذلك أيضًا البعث للرسل عليهم الصلاة والسلام، وفعل الصلاح والأصلح، وإثابته تعالى المطيع في دار النعيم ورؤيته جل وعلا في الآخرة على ما يليق به تبارك وتعالى، من غير وجهة ولا جرمية ولا تحيز فمذهب أهل السنة الأشاعرة جوازها في حقه تعالى ولا يجب عليه منها شيء ، قال تعالى : (لا يُسئل عما يفعل وهم يُسئلون) ، وقال عز وجل : (وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يُشركون) .

فيستفاد من هذا ما يأتي:

ــــ لا يجب على الله إثابة المطيع ولا عقاب العاصي، وهو مذهب أهل السنة الأشاعرة لأنه سبحانه فعال لما يريد.

ــــ لا يجب على الله تعالى بَعْث الرسل، فبعثهم تفضل وإحسان من الله على عباده.

ــــ لا يجب على الله فعل الصلاح وهو ما قابله فسادٌ ولا الأصلح وهو ما قابله صلاحٌ إلا أنه دونه؛ إذ لو وجب عليه فعل الصلاح والأصلح للخلق لما وقعت محنة دنيا وأخرى، ولما وقع تكليف بأمر ولا نهي وذلك باطل بالمشاهدة.

يجوز في حقه فعل الممكنات بأسرها وتركها في العدمات

والدليل على أنه فعل الممكنات جائز في حقه تعالى أنه لو وجب عليه فعل شيء لانقلب الجائز واجبًا، ولو امتنع عليه فعل شيء منها لانقلب الجائز مستحيلًا، وانقلاب الجائز واجبًا ومستحيلًا باطل.

لـو اسـتحال ممكـنٌ أو وَجَبَـا　　　قلـت الحقـائق لزومًـا أوجَبَـا

الصفات الواجبة والمستحيلة في حق الرسل وذكر براهينها:

يجب للرسل الكرام الصدق　　　أمانـــةً تبلـــيغهم يحـــقّ
محـــال الكـــذب والمنهـــي　　　كعـــدم التبليـــغ يـــا ذكـــي

رُسُل الله تعالى هم سفراء الله إلى الخلق، وهم المبلغون رسالة الله سبحانه إلى العباد، ومقامهم مستمدٌ من إكرام الله لهم وتعظيمه إياهم ، أمدَّ الله سبحانه وتعالى بواطنهم بالقوة الملكية، فبواطنهم يتوجهون إلى المولى لتلقي الأحكام والإرشادات، وبأجسامهم يتوجهون إلى الخلق لإرشادهم إلى ما فيه خير دينهم ودنياهم، وقد منحهم الله باختياره لهم منحًا تميزهم عن غيرهم من سائر المخلوقات ، وتدل على أنهم رُسُل الله حقًا وهي المعجزة أي الأمور الخارقة للعادة التي يخلقها الله تعالى على أيديهم كانقلاب العصا حية وفلق البحر ، والإتيان بكلام يعجز الإنس والجن عن معارضته والإتيان بمثله وهو القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

فهم سبب النعمة الكبرى، وبهم كانت الهداية العظمى، وبتعليماتهم استقامت الحياة الدنيا، ونَنْجو ببركتهم في الحياة الأخرى، وهم الشافعون والمشفعون عند الله تعالى.

فيجب على المؤمن أن يحترمهم، ويجعل في قلبه مرتبة خاصة لهم، ويُثبت لهم عليهم الصلاة والسلام كلَّ صفة مدح يستوجبها مقام النبوة، وينفي عنهم كلَّ صفة ذم تنافي مقامهم العلي، وذلك كما يأتي:

1ــــ **الصدق:** وهو مطابقة الخبر للواقع، فلا يخبر النبي صلى الله عليه وسلم بشيء ويكون مخالفًا للحقيقة، ودليل هذه الصفة أنه أجريت على يده المعجزة وهي دليل الصدق، ولقوله تعالى: (والذي جاء بالصدق وصدَّق به أولئك هم المتقون) ، وضد الصدق الكذب، والدليل على صدقهم عليهم الصلاة والسلام أنهم لو كذبوا لكان خبر الله تعالى كاذبًا، لأن الله صدق دعواهم الرسالة بإظهار المعجزة على أيديهم، فالمعجزة مترّلة مترلة قوله : (صدق عبدي في كل ما يبلغه عني) ، فلو كان الرسول كاذبًا لكان هذا الخبر كاذبًا ، والكذب عليه تعالى محال فيكون كذب الرسل محالًا، وإذا انتفى عنهم الكذب ثبت لهم الصدق .

لو لم يكونوا صادقين للزم — أن يكذب الإله في تصديقهم

إن معجزاتهم كقوله وبر — صدق هذا العبد في كل خبر

2ــــ **الأمانة**: وهي عصمتهم أي حفظهم ظاهرًا وباطنًا من الوقوع في محرَّم أو مكروه، فالله عصم ظواهرهم من السرقة والزنا وشرب الخمر وفحش القول وقتل النفس بغير حق، وعصم بواطنهم من الحقد والحسد والكبر والعجب والرياء وحب الدنيا ونحو ذلك.

قال الله تعالى في وصف رسوله عليه الصلاة والسلام: (مُطاع ثم أمين)، وجاء في القرآن وصف سيدنا الكليم موسى عليه الصلاة والسلام: (**إن خير من استأجرت القوي الأمين**)، وقال النبي عليه الصلاة والسلام: (ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحًا ومساءً).

وضدها الخيانة والدليل على ذلك أنهم لو خانوا بارتكاب شيء من ذلك لكنا مأمورين بمثل فعلهم ولا يصح أن نؤمر بمحرَّم أو مكروه، لأن الله لا يأمر بالفحشاء والمنكر، فثبت أنهم لم يفعلوا إلا الطاعة الواجبة أو المندوبة.

.... أو خانوا حتم — أن يقلب المنهي طاعة لهم

واقتصر الإمام ابن عاشر على قوله: (طاعة) و لم يقل: (طاعة ومباحًا) لأن أفعالهم عليهم الصلاة والسلام دائرة بين الواجب والمندوب لا غير؛ لأن المباح لا يقع منهم عليهم الصلاة والسلام بمقتضى الشهوة ونحوها كما يقع من غيرهم بل لا يقع منهم إلا مصاحبًا لنية يصير بها قربة لمقامهم من الله تعالى.

3ـــ تبليغ ما أمروا بتبليغه للخلق: أي توصيله إلى أممهم حسبما بلغوا من غير زيادة ولا نقص، قال تعالى: (فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد)، وقال تعالى: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك).

وضده الكتمان والدليل على ذلك أنهم لو كتموا شيئًا مما أمروا بتبليغه لكنا مأمورين باتباعهم في كتمان العلم، ولا يصح أن نؤمر بذلك لأن كاتم العلم ملعون، فتعين أنهم لم يكتموا وثبت لهم التبليغ.

لو انتفى التبليغ ....

4ـــ الفطانة: أي الذكاء والحذق وقوة الملاحظة، بحيث تكون فيهم قدرة على مجادلة الأخصام بالحجة وإفهامهم بإلزامهم الحجة.

قال تعالى في حق سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام: (وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم)، وكذلك كل الأنبياء كانوا فطناء قادرين على أبلغ أنواع الاستدلال بأوجز عبارات وأجمع كلمات.

وضدها البلادة والدليل على ذلك أنهم لو انتفت عنهم الفطانة لما قدروا أن يقيموا حجة على الخصم لكن عدم قدرتهم على ذلك ممنوع لأن القرآن الكريم دلَّ على إقامتهم الحجج على الخصم في مواضع كثيرة، وذلك من الفطانة.

الصفات الجائزة في حق الرسل:

يجوز في حقهم كلُّ عرض   ليس مؤديًا لنقص كالمرض

يجوز في حقهم عليهم الصلاة والسلام الأعراض البشرية التي لا تؤدي إلى نقص في مراتبهم العلية كالأكل والشرب والنوم والزواج والمرض الذي لا ينفر بخلاف المنفر كالبرص والجذام والعمى ونحو ذلك فإنه يستحيل عليهم لأن الناس مأمورون بالأخذ عنهم، ومثل هذه الأمراض تنفر من الاجتماع بهم والتعلم منهم.

وأما مرض أيوب ويعقوب عليهما السلام فكانا ظاهرين لا حقيقيين ولذلك زال مرض أيوب بأقل الأسباب وعمى يعقوب بشم رائحة قميص يوسف الذي عشى عينيه لكثرة البكاء عليه.

وصريح النصوص يقطع بجواز الأعراض البشرية عليهم، قال تعالى: (وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق).

وقال تعالى: (وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق).

وصحَّ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (... أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني).

والدليل على جواز هذه الأعراض البشرية وقوعها بهم إما بطريق المشاهدة لمن حضرهم، أو بالتواتر لمن لم يحضر، فقد شوهد مرضهم وجوعهم وإذاية الخلق لهم.

ولجواز الأعراض على الرسل عليهم الصلاة والسلام فوائد منها:

1ـــ الزيادة في ارتقاء درجاتهم.

2ـــ التشريع لأممهم أي التعليم للخلق.

3ـــ ولأجل أن يتسلى بهم غيرهم ويعرف العاقل أن الدنيا ليست دار جزاء لأحبابه، ولو كانت دار جزاء لما أصابهم شيء من مكدراتها عليهم الصلاة والسلام.

جواز الإعراض عليهم حجته وقوعها بهم تسلَّ حِكمته

قال المقري رحمه الله:

وغير قادح من الأعراض في حقهم يجوز كالأمراض
للأجر والتشريع والتجلي عن زهرة الدنيا وللتسلي

وبضم هذه التسعة إلى ما سبق كانت الجملة خمسين عقيدة يجب معرفتها على كل مكلف من ذكر وأنثى.

تعريف الرسول: هو إنسان حرٌّ ذكر متزّهٌ عن دناءة الآباء وعهر الأمهات، أوحي إليه بشرع يعمل به وأُمر بتبليغه الخلق بخلاف النبي فإنه أوحي إليه بشرع يعمل به و لم يؤمر بتبليغه فالرسول أفضل من النبي، وكل رسول نبي ولا عكس.

من حقوق الرسل عليهم الصلاة والسلام:

- ✓ توقير مقامهم.
- ✓ الإيمان بهم.
- ✓ رعاية حقوقهم.
- ✓ التأسي بهم.
- ✓ محبتهم.

الشهادة ودلالتها على معاني العقيدة:

يجمع معاني العقيدة المتقدمة سلفًا كلها قولك: (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، فمعنى الألوهية استغناء الإله عن جميع ما سواه وافتقار المخلوقات كلها إلى الله.

فدخل تحت قولك: (لا إله إلا الله) أي لا معبود بحق في الوجود إلا الله إحدى وأربعون عقيدة وهي ما يتعلق بالمولى جل شأنه من واجب ومستحيل وجائز ودخل تحت قولك: (محمد رسول الله) تسع عقائد وهي ما تتعلق بالرسل عليهم الصلاة والسلام كذلك.

والحاصل: أن استغناءه تعالى عن كل ما سواه يوجب له ثمان صفات: الوجود والقدم والبقاء والمخالفة للحوادث والقيام بالنفس، والسمع، والبصر، والكلام، ويؤخذ منه حكم القسم الثالث وهو كون فعل الممكنات أو تركها جائزًا في حقه تعالى لا أنه واجب أو مستحيل.

وأن افتقار كل ما سواه إليه عز وجل يوجب له خمس صفات الحياة والقدرة والإرادة والعلم والوحدانية فمجموع ذلك ثلاث عشرة صفة كما ذكر الإمام ابن عاشر ويلزم من وصفه تعالى بالقدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام كونه تعالى قادرًا مريدًا وعالمًا وحيًا وسميعًا وبصيرًا ومتكلمًا فهذه عشرون صفة واجبة وإذ وجب اتصافه تعالى بهذه العشرين استحال وصفه تعالى بأضدادها لاستحالة الجمع بينهما، وتقدم أن حكم القسم الثالث وهو الجائز في حقه تعالى يؤخذ من وصف الاستغناء.

قال الإمام السنوسي رحمه الله: (فقد بان لك تضمن قول لا إله إلا الله للأقسام الثلاثة التي تجب على المكلف معرفتها في حق مولانا جل وعز وهي ما يجب في حقه تعالى وما يستحيل وما يجوز).

ويندرج تحت قولك: (محمد رسول الله) ما يأتي:

ــ الإيمان بسائر الأنبياء والملائكة عليهم السلام.

ــ الإيمان باليوم الآخر لأنه عليه الصلاة والسلام جاء بتصديق جميع ذلك.

ــ الإيمان بالكتب السماوية.

ـ وجوب صدق الرسل واستحالة الكذب عليهم وإلا لم يكونوا رسلًا أمناء لمولانا العالم بالخفيات.

ـ استحالة فعلهم المنهيات كلها.

ـ جواز الأعراض البشرية عليهم.

فاتضح بذلك أن كلمتي الشهادة مع قلة حروفها تضمنتا جميع ما يجب على المكلف معرفته من عقائد إيمانية في حقه تعالى وفي حق رسله عليهم الصلاة والسلام.

وقـول لا إلـه إلا الله	**محمـدٌ رسـله الإلـه**
يجمـعُ كـلَّ هـذه المعـاني	**كانـت لِـذا علامـة الإيمـان**

مما ينبغي أن يعلم أن أنبياء الله لا يعلم عددهم إلا الله، قال تعالى: (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك)، وقيل: إن أنبياء الله مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا يجب الإيمان بهم إجمالًا، والرسل ثلاث مائة وأربعة عشر يجب الإيمان بهم كذلك أيضًا، وأما من تجب معرفته منهم تفصيلًا فخمسة وعشرون، وهم المذكورون في القرآن المجيد، منهم ثمانية عشر في آية الأنعام وهي قوله تعالى: (وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه ... وكلا فضلنا على العالمين).

والباقي سبعة وهم: إدريس، هود، شعيب، صالح، وذو الكفل، وآدم ومحمد خاتم الرسل عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام، وقد نظم بعضهم أسماءهم فقال:

حتم على كل ذي التكليف معرفة	**بأنبياء على التفصيل قد علموا**
في تلـك حجتنـا ثمانيـة	**من بعد عشر ويبقى سبعة وهم**
إدريس هود شعيب صالح وكذا	**ذو الكفل آدم بالمختار قد ختموا**

فضل لا إله إلا الله:

وهـــي أفضـــل وجـــوه الـــذكر فاشـغل بهـا العمـر تفـز بالـذخر

كلمة التوحيد أفضل أنواع الذكر لما جاء في فضلها وثوابها، فعلى العاقل أن يشغل بها عمره كله بحسب الاستطاعة والإمكان، ويعمر بذكرها أوقاته مستحضرًا لما احتوت عليه من عقائد الإيمان حتى تمتزج مع معناها بلحمه ودمه، فإن فعل ذلك فاز بالذخر أي الذخيرة التي لا يعادلها شيء.

هذا وقد ورد في فضلها أحاديث كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم: (أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله)، وقوله: (من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة).

الدين مراتب: الإسلام والإيمان والإحسان:

فصـل وطاعـة الجـوارح الجميـع	قـولًا وفعـلًا هـو الإسـلام الرفيـع
قواعـد الإسـلام خمـس واجبـات	وهـي الشـهادتان شـرط الباقيـات
ثـم الصـلاة والزكـاة فـي القطـاع	والصـوم والحـج علـى مـن اسـتطاع
الإيمـان جـزم بالإلـه والكتـب	والرسـل والأمـلاك مـع بعـث قـرب
وقـدر كـذا صـراط ميـزان	حـوض النبـي جنـة ونيـران
وأمـا الإحسـان فقـال مـن دراه	أن تعبـد الله كأنـك تـراه
إن لـم تكـن تـراه إنـه يـراك	والدين ذي الثلاث خذ أقوى عراك

بيَّن الإمام ابن عاشر من خلال هذه الأبيات أن الدين مراتب ثلاثة، وهي الإسلام والإيمان والإحسان، وأن لكل مرتبة أركانًا وبيان ذلك فيما يأتي:

أـــ الإسلام: أخبر أن طاعة جميع الجوارح من اللسان الموافق للاعتقاد وغير اللسان هو الإسلام في عرف الشرع، ووصفه بالرفيع لكماله بسبب انقياد الجوارح كلها لأمر الله.

وأما قواعد الإسلام فهي أصوله التي بني عليها وهي خمس خصال كل منها ركن من أركانه وهي النطق بالشهادتين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام.

ب ـــ الإيمان: قال الناظم: الإيمان جزم بالإله، أي أن الإيمان هو التصديق الجازم بالله تعالى وباتصافه بصفات الجلال والكمال والجمال، والتصديق بكتبه ورسله والملائكة عليهم الصلاة والسلام، والبعث والقدر والصراط والميزان والحوض والجنة والنيران.

فقد اشتمل كلامه رحمه الله على أركان الإيمان الستة.

ج ـ الإحسان: وهو إتقان العبادة وحسن المعاملة، وله حالتان:

الحالة الأولى: أن تغلب على العبد مشاهدة الحق تعالى بقلبه حتى كأنه يراه بعينه.

الحالة الثانية: أن يستحضر أن الحق مطلع عليه يرى كل ما يعمل.

والحالة الأولى أرفع وأرقى وأحسن، وفي هاتين الحالتين قال النبي صلى الله عليه وسلم: (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك).

فوائد تربوية في فقه الدين:

أشار بقوله: (والدين ذي الثلاث خذ أقوى عراك)، إلى أن الدين هو مجموع هذه الثلاث التي هي الإسلام والإيمان والإحسان وأنه أقوى وأوثق عروة يستمسك بها لقوله سبحانه وتعالى: (ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى وإلى الله عاقبة الأمور)، وفي ذلك فقه عظيم تستنبط منه فوائد تربوية تعين على فقه الدين والترقي في مراتبه الثلاث منها:

ـ الدين بناء متكامل يترقى المسلم عبر مراتبه ليحيا حياة طيبة في الدنيا والآخرة.

ـ لا إله إلا الله محمد رسول الله مفتاح الإسلام وجماع معاني الإيمان، ورافعة إلى مرتبة الإحسان ولذلك قال الناظم: فاشغل بها العمر تفز بالذخر.

ـ الدين علم وعمل، أساسه أركان الإسلام، وعموده الصلاة.

ـ على قدر معرفة العبد بالله جل جلاله يزداد إيمانه وتحسن عبادته وتعظم رحمته بخلق الله.

ـ مرتبة الإحسان مطلب أولي العزم من أهل التوحيد.

ـ مجاهدة النفس في الاستمساك بالدين والتحلي بمعالي الأخلاق سبيل المحسنين.

بدأت كتابة هذا التلخيص على عجلة من أمري في الحجر الصحي بالرباط صبيحة يومه السبت 24 أبريل 2021 الموافق لـ 11 رمضان 1442، وانتهيت منه مساء الأحد على الساعة 21:30 يومه 25 أبريل 2021 الموافق لـ 12 رمضان 1442.

كما لا يفوتني أن أشكر من كتب هذا التلخيص على الوورد الأخت الكريمة جيهان كردلو، وكذلك الأخ الكريم عبد السلام أبوسلام الذي ساعدني في مراجعته... فلهما مني جزيل الشكر وخالص الدعوات الصادقة.

وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه، ورزقنا وإياكم العلم واالعمل، وزادنا من فضله وكرمه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أخوكم عبد الغني الزواوي

لائحة المصادر والمراجع

ــ التوحيد من منظومة المرشد المعين على الضروري من علوم الدين لعبد الواحد بن عاشر، بشرح مختصر الدر الثمين لمحمد بن أحمد ميارة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، طبعة 1442هـ، دار أبي رقراق للطباعة والنشر.

ــ العقائد الدرية شرح متن السنوسية، تأليف الشيخ الكامل محمد الهاشمي، الطبعة الثالثة، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده بمصر.

ــ العقيدة الأشعرية هي عقيدة أهل السنة والجماعة، عبد الله بنطاهر التناني السوسبي، مطبعة النجاح الجديدة، سنة 1434هـ.

ــ عقيدة المسلم، إعداد دائرة الإفتاء العام بالمملكة الأردنية الهاشمية، الطبعة الثالثة 1444هـ.

ــ قواعد التأييد في عقائد التوحيد، تأليف الأستاذ المرحوم: الشيخ أحمد الحملاوي، الطبعة الأولى 1953م، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده بمصر.